مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية

بعد مرور عام: تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيليّ

ساهر غزّاوي

دراسات 9
عن إسرائيل

كانون أوّل 2024

دراسات عن إسرائيل 9
كانون أوّل 2024

بعد مرور عام: تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيليّ
One Year Later: The Ramifications of the War for Israeli Society

ساهر غزّاوي - باحث أكاديميّ في القضايا السياسيّة.

حقوق النشر محفوظة 2024
مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

ملخَّص

تستعرض الورقة تداعيات الحرب الإسرائيليّة على غزّة التي اندلعت في الـ 7 من تشرين الأوّل /أكتوبر في العام الماضي (2023) نتيجة لعمليّة "طوفان الأقصى" التي شنّتها حماس، وما زالت مستمرّة بعد عام، على المجتمع الإسرائيليّ. على وجه التحديد، تتابع الورقة تأثير أزمة الأسرى في غزّة، وإسقاطات الحرب النفسيّة والاجتماعيّة، وتصاعُد التصدُّع السياسيّ وتراجُع الثقة في القيادة العسكريّة، بالإضافة إلى القلق الوجوديّ للمجتمع الإسرائيليّ. وتَخْلص الورقة إلى أنّ تأثيرات الحرب عميقة في وقت تشهد فيه إسرائيل تصدُّعًا داخليًّا على الصُّعُد السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعسكريّة، وتشير إلى أنّ التأثيرات الأعمق لم تحدث بعد.

مقدّمة

مرّت سنة كاملة منذ الهجوم المفاجئ الذي شنّته حركة "حماس" في الـ 7 من تشرين الأوّل /أكتوبر عام 2023 تحت مسمّى "طوفان الأقصى" على منطقة "غلاف غزّة"، ممّا دفع إسرائيل إلى إعلان الحرب على القِطاع تحت اسم "السيوف الحديديّة" (ويطالب نتنياهو بتغيير اسم الحرب إلى "حرب النهضة" أو "حرب القيامة"[1]). أسفر الهجوم عن سقوط عدد غير مسبوق من القتلى والأسرى، وأدّى إلى حدوث صدمة كبيرة في المجتمع الإسرائيليّ الذي ما زال يعاني من تداعياتها.[2] وعلى الرغم من مرور عام وشهرَيْن، ما زال المجتمع الإسرائيليّ في حالة من الحزن ولم يتمكّن من تجاوز هذا الحدث.[3]

امتدّت الحرب إلى جبهات متعدّدة، بما في ذلك غزّة، والضفّة الغربيّة، وجبهة الشمال مع حزب الله، وعدّة ساحات أخرى.[4] ورغم المعارك على هذه الجبهات، كان التصدُّع الداخليّ في إسرائيل هو أبرز التحدّيات. ظهرت الخلافات الحادّة بين الحكومة والمستوى العسكريّ، وهو ما أفضى إلى تهديدات بحدوث تفكُّك اجتماعيّ على خلفيّة الصراعات الطبقيّة والثقافيّة.[5] تزامَنَ ذلك مع تراجُع الثقة في مؤسّسات الدولة، مع تساؤلات حول الحَوْكمة وفرض القانون.[6] جاءت الحرب في وقت كان فيه المجتمع الإسرائيليّ يعيش حالة استقطاب عميقة سبقت الخطّةَ الحكوميّة لتقييد القضاء واندلاع حركات الاحتجاج،[7] وكذلك برزت ادّعاءات بتغليب المصلحة الحزبيّة أو الشخصيّة على مصالح الدولة، وهو ما مثّل تهديدًا خطيرًا لهيكل المجتمع الإسرائيليّ بسبب التدمير الذاتيّ الذي يتنامى في السنوات الأخيرة.[8]

1. قناة الكنيست (ערוץ הכנסת). (2024). رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو: "حرب القيامة. هذا ما أودّ تسمية الحرب رسميًّا". قناة الكنيست. [بالعبرية]

2. شاليف، طال. (2023، 9 تشرين الأوّل). الرئيس في رسالة إلى المجتمع الدوليّ: "منذ المحرقة، لم يُقتل الكثير من اليهود في يوم واحد". واللا. [بالعبريّة]

3. واينت. "الصدمة والانقسام في إسرائيل وعدم إعادة المختطَفين": 7 أكتوبر في عناوين الصحف العالميّة. واينت Ynet. [بالعبريّة]

4. بدوي، عبد القادر. (2024، 7 تشرين الأوّل). عام على الحرب: الخسائر العسكريّة الإسرائيليّة في المواجهة متعدّدة الجبهات. مدار.

5. ألرن، مائير؛ ميخائيل، كوبي. (2023، تمّوز). الأزمة الاجتماعيّة والسياسيّة المؤسّسة في إسرائيل: خصائصها وتداعياتها على الأمن القوميّ. مركز أبحاث الأمن القوميّ (INSS). [بالعبريّة]

6. شحادة، امطانس. (2023، 20 تمّوز). الانقسام في المجتمع الإسرائيليّ: تهديد للأمن القوميّ. العربيّ الجديد.

7. تتمحور الاحتجاجات في إسرائيل حول الخطّة الحكوميّة بشأن مشروع قانون "الإصلاحات القضائيّة" الذي طرحته حكومة بنيامين نتنياهو في بداية عام 2023. يهدف هذا المشروع إلى تقليص سلطات المحكمة العليا وتعزيز سلطات الحكومة والكنيست. وقد واجه المشروع معارَضة واسعة من مختلف فئات الشعب الإسرائيليّ، بمن في ذلك المحامون والقضاة والشخصيّات السياسيّة، فضلًا عن الاحتجاجات الشعبيّة الواسعة. ورغم ذلك، تصرّ الحكومة على أنّ الإصلاحات ضروريّة لتحسين نظام الحكم، بينما يستمرّ الجدل حولها.

8. هرئيل، عاموس. (2023، 14 آب). نتنياهو يحاول تهديد كبار مسؤولي الجيش الإسرائيليّ، ويُخفي خطورة الوضع عن الجمهور. هآرتس. [بالعبريّة]

هذا التصدُّع الداخليّ تفاقَمَ بسبب الأزمة السياسيّة المستمرّة منذ آذار /مارس عام 2023؛ إذ شهدت إسرائيل انقسامات بشأن التشريعات القضائيّة، وهو ما أضرّ بوحدة المجتمع وأدّى إلى تآكل المناعة الاجتماعيّة والأمن القوميّ.[9] فضلًا عن ذلك، الحرب جاءت بعد عامَيْن من انحسار جائحة كورونا التي خلّفت آثارًا اقتصاديّة بالغة، نحو: الانكماش الاقتصاديّ؛ العجز القياسيّ في الميزانيّة.

مؤخَّرًا، انفجرت فضيحة تتعلّق بمكتب رئيس الحكومة؛ إذ تشير الشبهات إلى ابتزاز مقرَّبين من نتنياهو لضابط رفيع المستوى في الجيش للحصول على وثائق سرّيّة منسوبة إلى حماس سُرِّبت إلى الإعلام. القضيّة، المعروفة بِـ "وثائق السنوار"، تحوّلت من جنائيّة إلى سياسيّة؛ إذ يُشتبه في استخدام مكتب نتنياهو "جواسيس" لسرقة الوثائق وتوجيه الرأي العامّ ضدّ عَقْد صفقة تبادل الأسرى مع حماس. التسريب قد يؤثّر بالِغَ تأثيرٍ على المشهد السياسيّ والأمنيّ في إسرائيل، ويزيد من الصراع بين الحكومة والمعارَضة، ويسلّط الضوء على قضايا الفساد والتهديدات الأَمنيّة.[10]

المجتمع الإسرائيليّ في ما بعد الحرب على غزّة

نستعرض في هذه الورقة أبرز تأثيرات الحرب الإسرائيليّة على قِطاع غزّة على المجتمع الإسرائيليّ على وجه العموم، مع التركيز على التأثيرات العميقة التي خلّفتها على التصدُّعات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، بصرف النظر عن نتائج الحرب بعد انتهائها.

أوّلًا: أزمة ملفّ الأسرى والمحتجَزين في غزّة

نتيجة لتداعيات حرب "طوفان الأقصى" التي شنّتها حركة "حماس" في الـ7 من تشرين الأوّل /أكتوبر في العام الماضي (2023)، شهد المجتمع الإسرائيليّ عودة للخلافات الداخليّة،[11] تلك التي كانت قد عُلّقت مؤقَّتًا بسبب الحرب.[12] ومع استمرار الحرب وتوسيع نطاقها لتشمل غزّة ولبنان، يواجه المجتمع الإسرائيليّ تحدّيات كبيرة تتمثّل في غياب إستراتيجيّة واضحة للأهداف السياسيّة في الحرب، في وقت يبدو فيه أنّ حسم هذه الحرب الواسعة لا يزال بعيدًا، ممّا يزيد من تعقيد الخلافات الداخليّة.[13]

من أبرز هذه التداعيات تزايُدُ الاحتجاجات من قِبل بعض فئات المجتمع، ولا سيّما أفراد عائلات الأَسرى والمحتجَزين في غزّة الذين ينظّمون مظاهرات أسبوعيّة تطالب بالتوصُّل إلى صفقة تبادل أَسرى،[14] ممّا يجعل قضيّة الأَسرى محطّ اهتمام خاصّ في النقاشات السياسيّة والشعبيّة،[15] وكذلك عاد الاحتجاج ضدّ

9. إلران، مئير؛ ديتش، موران. (2023، 19 شباط). الثورة القانونيّة والمعارَضة الشعبيّة لها: إلى أيّ مدى سيتضرّر الصمود الاجتماعيّ والأمن القوميّ؟. مركز أبحاث الأمن القوميّ (INSS). [بالعبريّة]

10. پيليج، بار؛ ليز، جوناثان. (2024، 1 تشرين الثاني). قضيّة في مكتب رئيس الوزراء: اعتقال مشتبَهين بتقديم معلومات سرّيّة من شأنها الإضرار بتحقيق أهداف الحرب. هآرتس. [بالعبريّة]

11. لاندسمان، كارولينا. (2024، 11 تشرين الأوّل). لن تكون هناك "قيامة" بدون دولتين. هآرتس. [بالعبريّة]

12. القناة 12. (2024، 7 تشرين الأوّل). عام من القتال: مدى اقتراب إسرائيل من تحقيق أهداف الحرب. القناة 12. [بالعبريّة]

13. بيرچمان، رونين. (2024، 9 تشرين الأوّل). عام من الحرب، عام بلا استراتيجية. واينت Ynet. [بالعبريّة]

14. رڤيد، أور. (2024، 16 تشرين الثاني). مظاهرة حاشدة في تل أبيب تضامنًا مع أهالي المختطَفين: بيان يطالب بمبادرة إسرائيليّة فوريّة: "كيف يُعْقَل ألّا تكون هناك مبادرة إسرائيليّة؟". القناة 12. [بالعبريّة]

15. ساچي، آڤي. (2024، 30 نيسان). الاحتجاج في زمن الحرب: الأسئلة الملحّة. معهد شالوم هرطمان. [بالعبريّة]

التعديلات القضائيّة وحكومة نتنياهو إلى الشوارع في كانون الثاني /يناير المنصرم (2024).[16]

في أيلول المنصرم (2024)، شهدت بعض المدن الإسرائيليّة مظاهرات كبيرة على خلفيّة مقتل ستّة ممّن هم رهائن إسرائيليّون في غزّة وتسلُّم جثامينهم،[17] ووُجِّه اتّهام للحكومة الإسرائيليّة بأنّها تضحّي بالأسرى في سبيل مَصالح سياسيّة، إذ يعتقد المحتجّون أنّ توسيع أو تمديد الحرب دون إبرام صفقة يعني حكمًا بالإعدام للمحتجَزين في غزّة.[18] يتقاطع ذلك مع تقرير قدّمته أجهزة الأمن الإسرائيليّة إلى رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، يفيد بتدهور حالة الأَسرى المحتجَزين في قِطاع غزّة. ويُعتقد أنّ بعض هؤلاء الأَسرى لا يزالون على قيد الحياة، ويُحتجَزون في أنفاق مشابهة لتلك التي فيها كان الأَسرى الذين قُتلوا في نهاية آب /أغسطس الماضي قد احتُجِزوا.[19] ورغم دعم غالبيّة الإسرائيليّين لفكرة إبرام صفقة لاستعادة الأَسرى،[20] لا تزال هناك معارضة من اليمين الإسرائيليّ الذي يرفض هذه الخطوة، وهو ممّا يزيد من حدّة الانقسام الداخليّ.[21]

تعكس المواجَهات بين المتظاهرين والمواطنين المؤيّدين للحرب حالة الاستقطاب العميق في المجتمع الإسرائيليّ، وهذا يمثّل عيّنة من هذا الصراع الداخليّ، على نحوِ ما تجلّى الأمر في صراخ امرأة معارِضة للمظاهرات، إذ قالت: "ابني يقاتل في غزّة. يقاتل من أجل إنقاذ الرهائن، وليس نائمًا هنا دون أن يفعل شيئًا. أمّا أنتم فلا تفعلون أيّ شيء سوى الصياح".[22] وتشير دراسة حديثة إلى أنّ 62% من الإسرائيليّين يرَوْن أنّ الخلافات الداخليّة تهدّد بتفكيك المجتمع، وأنّ الحرب قد عمّقت هذا الانقسام بين فئات المجتمع الإسرائيليّ.[23]

بعد مرور عام على الحرب، لم يطرأ تغيُّر كبير على تعامل إسرائيل مع قضيّة الأسرى، ممّا يزيد من الضغط الشعبيّ على الحكومة لاتّخاذ قرارات حاسمة.[24] هذا التأخير في حلّ هذه القضيّة قد يؤدّي إلى تراجُع دعم المجتمع للحرب، ويعمّق الخلافات الداخليّة، وبخاصّة في ظلّ فشل إسرائيل في تحقيق أهدافها المعلَنة، نحو: القضاء على حركة حماس؛ إعادة الأسرى والمخطوفين؛ عودة سكّان البلدات الحدوديّة بأمان إلى منازلهم -سواء أكان ذاك في الشمال بالقرب من الحدود مع لبنان أَمْ في الجنوب على الحدود مع غزّة.[25]

16. روبنشطاين، روعي. (2024، 9 آب). الاحتجاجات ضدّ الانقلاب الدستوريّ تعود: "لا يمكن الانقلاب من الباب الخلفيّ". واينت Ynet. [بالعبريّة]

17. ترجمان، مئير. (2024، 1 أيلول). مطالَبة نتنياهو بِـ "تحمُّل المسؤوليّة" واحتجاجات في أنحاء البلاد: "العثور على الجثث - نتيجة التلاعب بالصفقة". واينت Ynet. [بالعبريّة]

18. روبنشطاين، روعي. (2024، 14 أيلول). أهالي المختطَفين: "رئيس الوزراء ينقل ثقل الحرب إلى الشمال - ويتخلّى عن المختطَفين". واينت Ynet. [بالعبريّة]

19. مَجادلة، محمود. (2024، 7 تشرين الأوّل). تقديرات إسرائيليّة: تدهور حالة الأسرى المحتجَزين في غزّة. عرب 48.

20. مؤشّر الصوت الإسرائيليّ. (2024، 7 تشرين الأوّل). استطلاع أيلول /سبتمبر 2024: مرور عام على أحداث الـ7 من أكتوبر وحرب "السيوف الحديديّة". المعهد الديمقراطيّ الإسرائيليّ. [بالعبريّة]

21. ميلمان، يوسي. (2024، 2 أيلول). الاستقالة: متى سيدرك هَليفي ورونان بار وديدي بارنيا أنّه قد طفح الكيل؟. هآرتس. [بالعبريّة]

22. روبين، دان. (2024، 2 أيلول). متظاهرون يغلقون الأيالون بالمشاعل، واعتقال 13 شخصًا. واينت Ynet. [بالعبريّة]

23. روبنشطاين، روعي. (2024، 15 تشرين الأوّل). بحث: دعم شعبيّ ساحق للجنة تحقيق حكوميّة في 7/10| وماذا يعتقدون بشأن نتنياهو؟". واينت Ynet. [بالعبريّة]

24. بيرچمان، رونين. (2024، 28 نيسان). الاتّصالات الخاصّة بالصفقة: إسرائيل قد توافق على الشروط التي عارضتها في الجولات السابقة. واينت Ynet. [بالعبريّة]

25. إشكنازي، آفي. (2024، 13 تشرين الأوّل). نحن نغرق في وحل غزّة – وفي لبنان ليس من الواضح ما هي الخطّة أيضًا. معاريف. [بالعبريّة]

ثانيًا: تداعيات الحرب على الحالة النفسيّة والاجتماعيّة

نتيجة لتداعيات حرب "طوفان الأقصى" التي شنّتها حركة "حماس" في الـ 7 من أكتوبر (2023)، يعاني المجتمع الإسرائيليّ من صدمة جماعيّة واسعة، وتشير دراسة طبّيّة إلى أنّ جميع سكّان إسرائيل تأثّروا -بشكل أو بآخر- بالصدمات النفسيّة الناجمة عن الهجوم؛ إذ يعاني أكثر من 40% من الإسرائيليّين من الاكتئاب والقلق.[26] كذلك أظهر استطلاع أنّ 12% من الإسرائيليّين فقدوا أحد أفراد عائلتهم أو أصدقائهم، وَ36% على معرفة بأحد القتلى، وهو ما يعني أنّ 48% من الإسرائيليّين تأثّروا مباشرة بفقدان الأرواح.[27]

وبعد عام من بدء الحرب، أظهرت النتائج أنّ 61% من الإسرائيليّين لا يشعرون بالأمان، بينما أكّد 71% من سكّان شمال إسرائيل انعدام الأمن الشخصيّ. كذلك تأثّر الجنود الإسرائيليّون تأثُّرًا بالغًا، فقد عُولِجَ آلاف الجنود الذين يعانون من اضطرابات نفسيّة نتيجة مشارَكتهم في المعارك، ويشعرون بالذنب والفشل، ممّا يزيد من صعوبة علاجهم مع استمرار الحرب. وفي ما يخصّ جنود الاحتياط، الذين يواجهون تحدّيات كبيرة في العودة إلى حياتهم المدنيّة، ازدادت احتماليّة إصابتهم بالاكتئاب الحادّ.[28]

علاوة على ذلك، دخل نحو 3,200 إسرائيليّ مستشفيات الطبّ النفسيّ، إذ يحتاج الكثير منهم إلى علاج نفسيّ مكثَّف. العديد من هؤلاء المرضى يعانون من أمراض نفسيّة حادّة بسبب الصدمات النفسيّة التي تعرّضوا لها نتيجة للحرب.[29] وَفقًا لوزارة الصحّة الإسرائيليّة، يعاني هؤلاء المرضى من صعوبة في التكيُّف مع الواقع ويحتاجون إلى دعم نفسيّ مستمرّ.[30]

هذه التحدّيات النفسيّة تعكس تراجعًا كبيرًا في المناعة القوميّة[31] في إسرائيل، ممّا يشير إلى تدهور في المناعة المجتمعيّة والشخصيّة؛ إذ يعبّر الجمهور الإسرائيليّ عن إحباطه من الوضع الراهن، وهو ما يتجلّى في انخفاض مؤشّر الأمل وتراجع التضامن الاجتماعيّ وفقدان الثقة في مؤسّسات الدولة.[32]

ثالثًا: تصدُّع المشهد السياسيّ

تشير المعطيات الحاليّة إلى حصول تراجُع كبير في تأييد الجمهور الإسرائيليّ لحكومة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. فقد أظهر استطلاع للرأي أنّ نحوَ ثلثَي الإسرائيليّين لا يثقون بطريقة إدارة الحكومة للحرب على غزّة.[33] وأيّد 79% من المشارِكين في الاستطلاع تشكيل لجنة تحقيق رسميّة مستقلّة في أحداث الـ7 من تشرين الأوّل /أكتوبر (2023) وما تبعها من إخفاق.[34] ووَفقًا للاستطلاع، 64% من الإسرائيليّين لا يثقون

26. Belz, Yossi Levi; and others. (2024, 5 January). PTSD, depression, and anxiety after the October 7, 2023 attack in Israel: a nationwide prospective study. eClinicalMedicine.

27. شابيرا، يَعَراه. (2024، 6 تشرين الأوّل). عام على المجزرة: 61% من الجمهور لا يشعرون بالأمان في البلاد. "كان 11". [بالعبريّة]

28. زيتون، يوآف. (2024، 22 تشرين الثاني). الإصابات المخيفة من ساحة المعركة - التي لا تنتهي: "آلاف المقاتلين يتلقّوْن العلاج النفسيّ بالفعل". واينت Ynet. [بالعبريّة]

29. چولدشطاين، تاني. (2024، 25 حزيران). خلقت الحرب تحدّيات جديدة للصحّة العقليّة وحالات علاجيّة غير مسبوقة. زمن إسرائيل. [بالعبريّة]

30. المصدر السابق.

31. هذا المصطلَح تستخدمه الأجهزة البحثيّة الإسرائيليّة للدلالة على قدرة المنظومات المختلفة في الدولة على مواجهة الكوارث والأزمات بنجاح، وأداء الوظائف بصيغتها المعهودة خلال الحدث، وكيفيّة النهوض من الكارثة بسرعة والنموّ من جديد فيما بعد.

32. انظروا: مؤشّر ثقة الجمهور بالمؤسّسات السياسيّة. (2024 تشرين الأوّل). جامعة رايخمان.

33. مؤشّر الصوت الإسرائيليّ، مصدر 21.

34. كوشمارو، داني. (2024، 22 تشرين الثاني). استطلاع: أكثر من نصف الجمهور الإسرائيليّ يؤيّدون إنهاء الحرب في لبنان، وقرابة الربع يعارضون ذلك. القناة 12. [بالعبريّة]

بالحكومة، بينما قال 30% فقط إنّهم يثقون بها.[35] وفي استطلاع سابق، أشار 61% من المشارِكين إلى أنّ الحكومة الحاليّة تحاول التهرُّب من تشكيل لجنة تحقيق، باعتبارها مسؤولة عن انعدام الجهوزيّة الإسرائيليّة لمواجهة أحداث الـ7 من تشرين الأوّل /أكتوبر (2023). كذلك اعتبر 53% أنّ عدم تشكيل لجنة تحقيق رسميّة يشكّل تهديدًا لأمن الدولة.[36]

في هذا السياق، افتتح الكنيست دورته الشتويّة في أكتوبر المنصرم (2024) وسط أزمات قانونيّة وسياسيّة، أبرزُها قانون تجنيد الحريديّين والميزانيّة لعام 2025.[37] وقد نقل نتنياهو رسالة إلى شركائه الحريديّين تفيد بأنّ إقالة وزير الأمن يوآف چالانت ستكون ممكنة بعد الهجوم على إيران، معتبِرًا أنّ چالانت هو العائق أمام قانون الإعفاء من التجنيد، إذ كان من بين أعضاء الائتلاف الحكوميّ هو الوحيد الذي صوّت ضدّ القانون في شهر حزيران الماضي.[38] وفي خطوة لاحقة، أقال نتنياهو وزير الأمن چالانت من منصبه، وهو ما أثار إذّاك احتجاجات واسعة في إسرائيل.[39]

وفيما عزّز الائتلاف الحكوميّ قوّته بانضمام كتلة "اليمين الرسميّ" بزعامة چدعون ساعَر إليه، وهو ما رفع عدد النوّاب الموالين للحكومة إلى 68،[40] فإنّ هذه الخطوة لقيت انتقادات شديدة من المعارَضة التي تسعى إلى إسقاط الحكومة. وعلى الرغم من الانتقادات، قد يسهم انضمام ساعَر في تمديد عمر الحكومة حتّى عام 2026.[41]

كلّ هذه التطوُّرات تشير إلى أزمة الثقة الكبيرة التي يواجهها نتنياهو، وتكشف النقاب عن التصدُّعات السياسيّة العميقة داخل الحكومة والمجتمع الإسرائيليّ، ممّا يعزّز حالة الاستقطاب الداخليّ ويهدّد استقرار الائتلاف الحاكم.

رابعًا: تراجع الثقة بالقيادة العسكريّة

في جانب مستويات الثقة بالقيادة العسكريّة، أظهرت نتائج استطلاع رأي في الأسابيع الأولى من بدء الحرب تأييدًا واسعًا من الجمهور الإسرائيليّ لأهداف الحرب المعلَنة، حيث لقيت الحرب دعمًا كبيرًا من وسائل الإعلام أيضًا، ففي تلك الفترة، أيّدت غالبيّة كبيرة من الإسرائيليّين الحرب على غزّة، وذلك في أعقاب "الصدمة الجماعيّة" التي نتج عنها "شعور بتهديد وجوديّ"، ممّا عزّز تأييدهم للحكومة والقيادة العسكريّة في سعيهما لتحقيق النصر.[42]

مقارَنةً بذلك، أظهر استطلاع رأي بعد مرور ستّة أشهر على بداية الحرب تراجعًا كبيرًا في ثقة الإسرائيليّين في

35. المصدر السابق.

36. واينت، مصدر 24.

37. باكالو، ليئور. (2024، 27 تشرين الأوّل). الكنيست يعود – ومعه المبادرات التشريعيّة لإعفاء الحريديّين من التجنيد وإضعاف النظام القضائيّ. القناة 12. [بالعبريّة]

38. شپيچل، نُوعا. (2024، 11 حزيران). بعد تصويته ضدّ قانون إعفاء اليهود المتشدّدين من التجنيد الإجباريّ، الليكود يدعو إلى إقالة چالانت. هآرتس. [بالعبريّة]

39. هاوزر، مايكل وآخرون. (2024، 5 تشرين الثاني). نتنياهو يقيل وزير الأمن چالانت في ذروة الحرب الإقليميّة، ويعيّن يسرائيل كاتس مكانه. هآرتس. [بالعبريّة]

40. شاليف، طال. (2024، 30 أيلول). الحكومة تصادق أنّ ساعَر سيكون عضوًا في الحكومة السياسيّة الأمنيّة. واللا. [بالعبريّة]

41. بن عطار، موشيه. (2024، 30 أيلول). انضمام چدعون ساعَر إلى الحكومة هو فشل ذريع للمعارَضة. هآرتس. [بالعبريّة]

42. مؤشّر الصوت الإسرائيليّ. (2023، 31 تشرين الأوّل). استطلاع أكتوبر 2023: أقلّيّة صغيرة من الجمهور (7%) تثق برئيس الوزراء أكثر من قادة الجيش في إدارة الحرب. المعهد الديمقراطيّ الإسرائيليّ. [بالعبريّة]

النصر "الموعود" للحرب؛ فقد أكّدت غالبيّة ساحقة من الإسرائيليّين عدم رضاهم عن نتائج الحرب في قِطاع غزّة، بينما لم تتجاوز نسبة الراضين عن النتائج 29%.[43] وبعد مرور عام كامل على بداية الحرب، أظهرت نتائج الاستطلاعات أنّ أغلبيّة المواطنين الإسرائيليّين يستبعدون الانتصار في الحرب على غزّة، حيث اعتقد 27% فقط أنّ إسرائيل انتصرت، بينما رأى 35% أنّ إسرائيل خسرت الحرب، وأشار 38% من المستطلَعين إلى أنّهم غير متأكّدين من النتائج.[44]

على الرغم من أنّ الجيش الإسرائيليّ كان يتمتّع بسمعة متينة وكان فوق أو خارج النقد في المجتمع الإسرائيليّ، أصبح هذا الجيش نفسه اليوم، نتيجة لتداعيات الحرب، هدفًا لهجوم واسع من مختلف شرائح المجتمع، سواء أكان ذاك ممّن يشعرون بعدم الأمان أَمْ من دوائر أخرى. فعلى الرغم من أنّ الجيش كان يُعَدّ "أغلى ما يملك الإسرائيليّون"، أحدثت عمليّة "طوفان الأقصى" التي نفّذتها حماس في الـ 7 من تشرين الأوّل /أكتوبر (2023) صدعًا عميقًا في وعي الإسرائيليّين وثقتهم في قدرات جيشهم، كما أكّد جنرال عسكريّ إسرائيليّ سابق أنّ الخطر الأكبر لم يكن فقط الكارثة أو الأضرار المباشرة، بل كان يتمثّل في أزمة الثقة الكبيرة والفجوة العميقة التي نشأت، حيث فقد المواطنون الثقة في قدرة الجيش على حمايتهم في أوقات الحاجة.[45] وقد تجلّى ذلك في حصول تراجُع كبير في ثقة المجتمع الإسرائيليّ بالجيش بعد الـ7 من تشرين الأوّل /أكتوبر (2023)؛ إذ أفاد 41% من المستطلَعين أنّ ثقتهم بالجيش قد تضرّرت، بينما أشار 35% إلى أنّ ثقتهم تحسّنت، في حين قال البقيّة (24%) إنّهم لا يعرفون.[46]

خامسًا: التداعيات على المستقبل والقلق الوجوديّ

أدّت الحرب المتعدّدة الجبهات إلى إدخال إسرائيل في أزمات اقتصاديّة جدية؛ فقد أُغلِقَ أكثر من 40 ألف محلّ تجاريّ منذ اندلاع الحرب في تشرين الأوّل /أكتوبر (2023)، ويتوقّع خبراء الاقتصاد في إسرائيل أن يصل عدد المحالّ التجاريّة المغلَقة حتّى نهاية العام الجاري (2024) إلى نحو 60 ألفًا، أي بمعدّل إغلاق نحو 170 مصلحة تجاريّة يوميًّا.[47] تعكس هذه الأزمة الاقتصاديّة تأثيراتِ الحربِ العميقةَ على النشاط التجاريّ في إسرائيل، ممّا يزيد من حدّة الضغوط الاقتصاديّة على المواطنين والقِطاع الخاصّ، ومن المؤكَّد أنّ معدّل الهجرة إلى إسرائيل ظلّ مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالأمن والرخاء الاقتصاديّ.[48] كلّ ذلك بخلاف الجهود الكبيرة التي بذلتها الحكومات الإسرائيليّة منذ قيام الدولة عام 1948 ابتغاءَ جذب اليهود من شتّى أنحاء العالم للعيش في إسرائيل، فقد لخّص الزعيم الصهيونيّ وأوّل رئيس وزراء لإسرائيل، داڤيد بن چوريون، الأهمّيّةَ الإستراتيجيّة لهجرة اليهود إلى إسرائيل بقوله: "الهجرة إلى فلسطين هي التي تضمن بقاء أمن إسرائيل". وقد أغرت إسرائيل اليهود بالهجرة إليها باعتبارها "أرض الحليب والعسل"، حيث وعدت بتوفير الأمن والرخاء، وقدّمت لهم السكن المجّانيّ، والوظائف، والمساعَدات الماليّة بلا حدود.[49]

ويتجلّى ذلك في تقرير تحدَّثَ عن مخاوف الهجرة العكسيّة للإسرائيليّين هربًا من ظروف الحرب. ووَفقًا لما

43. كوهين، موشيه. (2024، 7 نيسان). استطلاع "معاريف": ما نسبة الإسرائيليّين الراضين عن نتائج الحرب في غزّة؟. معاريف. [بالعبريّة]

44. شاپيرا، يَعَراهْ. (2024، 6 تشرين الأوّل). عام على المجزرة: 61% من الجمهور لا يشعرون بالأمان في البلاد. "كان 11". [بالعبريّة]

45. زيف، يسرائيل. (2024، 8 تشرين الأوّل). لقد جرى تفكيك الخطّة الإيرانيّة الرئيسيّة، والخطوة التالية هي التي ستحدّد ما سيبقى منها. القناة 12. [بالعبريّة]

46. شاپيرا، يَعَراهْ، مصدر 45.

47. ليبرمان، كوبي. (2024، 15 تشرين الأوّل). إعادة اختراع الأعمال هي الطريقة التي تتعامل بها الشركات الصغيرة مع الواقع بعد 10.7. واينت Ynet. [بالعبريّة]

48. عزّام، رغد. (2024، 18 أيلول). الحرب على غزّة وانعكاساتها على اقتصاد الاحتلال الإسرائيليّ .مركز رؤية للتنمية السياسيّة.

49. بركات، عبد التوّاب. (2024، 7 تشرين الأوّل). الهجرة العكسيّة تهدّد مستقبل إسرائيل. العربيّ الجديد.

أوردته صحيفة "هآرتس"، أظهرت الإحصاءات أنّ 42,185 إسرائيليًّا قد هاجروا بين تشرين الأوّل /أكتوبر عام 2023 وآذار /مارس المنصرم (2024) ولم يعودوا حتّى تمّوز /يوليو (2024)، ممّا رفع نسبة الهجرة العكسيّة بنحو 12% مقارَنة بالفترة ذاتها من العام السابق.[50] في المقابل، هاجر إلى إسرائيل نحو 31 ألف مهاجر من أكثر من 100 دولة حول العالم، على الرغم من الحرب وتداعياتها، وذلك وَفقًا لإحصاءات وزارة الهجرة والاستيعاب والوكالة اليهوديّة.[51]

ويدعم ذلك استطلاعٌ أُجْرِيَ على عيّنة تمثّل السكّان البالغين في إسرائيل، نُشِرَ عشيّة رأس السنة العبريّة الجديدة، ويُظهِر أنّ أكثر من ثلث المجتمع الإسرائيليّ بقليل تدارسوا إمكانيّة مغادرة البلاد بسبب الحرب المستمرّة منذ سنة، وأنّه ثمّة خطر حقيقيّ على وجود إسرائيل أو أنّهم لا يعرفون مصيرها، وأنّ إسرائيل ليست دولة يطيب العيش فيها. ووَفقًا لهذا الاستطلاع، 35% من المستطلَعة آراؤهم قالوا إنّهم تدارسوا إمكانيّة الهجرة من إسرائيل، ومن بينهم 24% تدارسوا فكرة الهجرة الدائمة وَ 11% تدارسوا فكرة الهجرة المؤقَّتة، بينما قال 65% إنّهم لم يتدارسوا هذه الإمكانيّة، مع الإشارة إلى أنّ غير الراضين من العيش في إسرائيل هم أناسٌ تتراوح سنّهم بين 30 وَ 44 عامًا، وأزواجٌ شابّة، وناخبو أحزاب المعارَضة، بينما تبيّن من تحليل معطيات الاستطلاع أنّ الذين لديهم رضا من العيش في إسرائيل هم كبار السنّ، ومتديّنون وحريديّون، وناخبو أحزاب الائتلاف.[52]

خاتمة

من السابق لأوانه تقييم الآثار النهائيّة للحرب على غزّة وهجوم السابع من تشرين الأوّل /أكتوبر في العام الماضي (2023) -وهي الحرب الأطول في تاريخ إسرائيل- على المجتمع الإسرائيليّ، إلّا أنّه في الإمكان رصد بعض التغييرات المُهِمّة التي طرأت على المجتمع الإسرائيليّ، خلال عام كامل انقضى منذ هجوم السابع من تشرين الأوّل /أكتوبر (2023)، وبخاصّة في ما يرتبط بالمجالات العسكريّة والأمنيّة والتغيُّرات الاجتماعيّة والسياسيّة الداخليّة. تعكس المؤشّرات التي استُعرِضت في هذه الورقة التداعيات العميقة التي أحدثتها الحرب على المجتمع الإسرائيليّ، في وقت يشهد فيه المجتمع حالة من التصدُّع والانقسام السياسيّ والدينيّ والأيديولوجيّ تجلّت في أزمة إصلاح القضاء الإسرائيليّ واحتدام الأزمة السياسيّة العميقة أثناء الحرب بشأن تجنيد الحريديّين -وهي قضيّة مركزيّة ذات تأثير اجتماعيّ كبير في المجتمع الإسرائيليّ.

من بين هذه التداعيات:

- تباين في المواقف الإسرائيليّة بشأن ملفّ الأسرى والمحتجزين في غزّة، ما بين فريق مؤيّد لعَقْد صفقة تبادُل أَسْرى وآخر معارض، بسبب الثمن المتوقَّع أن يُدفَع في هذه الصفقة، ممّا يعكس التصدُّع والانقسام داخل المجتمع الإسرائيليّ، وهو استقطاب سياسيّ واجتماعيّ مرشَّح للتعمُّق أكثر مع استمرار الحرب دون تحقيق أهدافها المعلَنة.

50. يرون، لي. (2024، 11 أيلول). في إسرائيل وخارجها، يغادر اليهود منازلهم ويبحثون عن مكان أكثر أمانًا. هآرتس. [بالعبريّة]

51. آيْخُنِر، إيتمار. (2024، 29 أيلول). رغم الحرب: وصل إلى إسرائيل نحو 31 ألف مهاجر. واينت Ynet. [بالعبريّة]

52. كوهين، موشيه. (2024، 2 تشرين الأوّل). عام عبريّ على الأبواب: هذه هي القِطاعات الأكثر رِضًى عن الحياة في إسرائيل| استطلاع معاريف. معاريف. [بالعبريّة]

- تأثيرات الحرب العميقة على الحالة النفسيّة والاجتماعيّة لدى المجتمع الإسرائيليّ الذي لا يزال يعيش في خضمّ صدمة جماعيّة واسعة النطاق تتفاقم بمرور الوقت.
- تصدُّع المشهد السياسيّ في إسرائيل، حيث أصبح المجتمع يتوق إلى قيادة موحَّدة، على اعتبار أنّ هذا المجتمع يستحقّ قيادة قادرة على تقديم إجابات واضحة ومؤثّرة أكثر من أيّ وقت مضى.
- تراجُع الثقة بالقيادة العسكريّة في إسرائيل؛ إذ أصبح الجيش هدفًا للهجوم من بعض شرائح المجتمع بعد أن كان يُعَدّ خارج الانتقاد.
- الحرب فرضت ضغوطًا هائلة على المجتمع الإسرائيليّ، ممّا أدّى إلى حالة من التشاؤم والخوف من المستقبل والقلق الوجوديّ داخل الدولة.
- لقد ازدادت التداعيات الخارجيّة والداخليّة لهذه الحرب، وألقت بظلالها على مختلف جوانب المجتمع الإسرائيليّ في المدى القريب والمدى البعيد، خاصّة على المستوى السياسيّ والعسكريّ والاقتصاديّ. ورغم انخراط آلاف الجنود في جيش الاحتياط الإسرائيليّ، فإنّ إسرائيل لا تزال مجتمعًا قبَليًّا، ولم تخلق الحرب سوى قبائل جديدة ضمنه.
- وبناء على ذلك، من غير المستبعَد أن تكون لهذه الحرب تأثيرات أعمق لم تَحْدث بعد، ولا سيّما أنّها تُعَدّ حدثًا مؤسِّسًا في تاريخ الصراع على أرض فلسطين.

مدى الكرمل
المـركـز الـعـربـي للـدراسـات
الاجتماعية التطبيقية